الفصل التاسع والعشرون

أخلاق وعادات

التمدن في الزواج. التربية الصحيحة الجيدة هي التي ترقى شأن الأمم والشعوب، وتمهد لها طريق السعادة والهناء. ونحن الشرقيين قد لهونا عن هذا الأمر، وأهملناه حتى بلغ بنا ذلك إلى عاقبة لا تحمد، ونتيجة لا تدعو إلى المسرة والرضا، بل أنه بلغ بنا إلى أقصى درجات التعاسة، والشقاء.

ولقد تقدم لنا في الفصل السابق كلام في الزواج، ووعدنا في خلال تلك السطور بالعود إلى ذلك الموضوع لنورد للقراء بعض الأسباب التي تجعل الزواج في هذه الأيام عبثا ثقيلا تنوء به كواهل الرجال، وقيدا قاسيا لا تتحمله السيدات. ولما كان الموضوع دقيقا رأينا أن نبدأ قبل أن نخط فيه حرفا باستلفات الأنظار إلى أمر واحد: وهو أننا لا نقصد إلا إلى النفع العام، والخدمة الخالصة لوجه الله. ثم نقول:

من نكد الطالع في هذا الشرق المسكين أن ثروته لم تبق كلها بين أيدي أهله، وما بقى منها فهو دون شك ذاهب كما ذهب ما سبقه –إذا بقينا علي ما نحن عليه من عدم الاهتمام بالحاضر، والاكتراث للمستقبل– وذلك أنه لم يبق للشرقيين مذهب سوى التقليد كأنهم نسوا قول الشاعر العربي:

من تردى برداء ... ما رآه لأبيه

سوف يأتيه زمان ... يتمني الموت فيه

ونحن نذكر هنا قولا يؤثر عن ساكن الجنان المرحوم (مُحَمَّد علي باشا الكبير) وهو: "ويل للشرق من لبس السوري قبعة، والمصري بنطلونا". علي أننا لسنا نورد هذا القول لذم القبعة، والبنطلون. ولا للوقيعة بالذين تخيروا لبسهما، بل نحن نعتقد أن لا تأثير للباس في العقل، ونجد أن للقبعة والبنطلون ميزة صحية علي الطربوش، والسراويل. ولكننا استشهدنا به للدلالة المعنوية علي حب التقليد الذي يؤدي غالبا بالسذج، والبسطاء، وبسخيفي العقول، والحمقاء إلى إنكار جنسيتهم تارة، وإلى الخراب طورا.

وذلك أن حب التقليد يضطر الغني إلى مجاراة من هو أغنى منه، والمتوسط الحال إلى مجاراة الغني، والفقير إلى السير في خطة المتوسط، وهكذا حتى لا يبقى لأحد حد. وكم رأينا أناسا كان حب التقليد سببا في ضياع ما لهم، ثم في ركوب الدين أكتافهم.

ورب قائل يقول: وأي دخل لهذا الأمر في مسألة الزواج، فمهلا: إننا رأينا أكثر ما أثرت هذه الحالة في الزواج عندنا. ونحن أنما نعني هنا نصارى الشرق، ونخص منهم الذين غلب عليهم حب "التفرنج"، فسبقوا الإفرنج، ولكن في الإسراف، والبذخ، وافسدوا تربية البنين والبنات، حتى أصبحوا وهم لا يقنعون بشيء، ولا يرضيهم شيء، ولا يقدمون علي الزواج؛ لأن مال قارون لم تبق فيه كفاية للقيام بفروض التمدن الحديث، كما يدعي الذين لا يعرفون من التمدن إلا اسمه.

وإلا فهل من التمدن أن لا يتزوج الشاب إلا بفتاة شابة جميلة، غنية متعلمة لغتين، أو ثلاثا، بارعة في التصوير، والرقص، وركوب الدراجة، والضرب علي البيانو. ولا يهم أن تكون ذات أدب، وحياء، وعلم بتدبير المنزل، وتربية الأولاد؟

وهل من التمدن الحقيقي الصحيح أن لا تقترن الفتاة إلا بشاب ذي خلاعة، ذرب اللسان، مجرد عن كل علاقة عائلية، وأن لا يكون مستخدما، ولا ذو حرفة، أو صناعة.

وقد طرقنا باب البحث في هذا الموضوع في جريدة الأهرام منذ عامين، وأسفنا لقعود البنات، وأحجام الشبان عن الزواج. فجاءتنا من أحدي الأوانس في القاهرة رسالة زعمت فيها أن الرجال هم السبب في هذه الحالة، وطلبت إلينا أن نبدل "قعود البنات بتقاعد الشبان"، وفي ذلك موضع نظر، فيه موضع إصابة وحق.

علي أن النتيجة واحدة، ونحن لا نبرئ أحد الفريقين، ولا نجعل الخطأ كله في جهة واحدة، بل أن نصف السبب من الرجال، ونصفه من النساء. وإن شئت فالسبب ناجم عن فساد التربية التي نتلقاها.

وقد قالت صاحبة الرسالة في ختام كلامها: "أن السبب في قعود البنات إنما هو تقاعد الشبان، فإنك لا تكاد تذكر لشاب فتاة حتى يبادرك بالسؤال عن مهرها (الدوطة)، غير ناظر إلى شيء سوى المهر إذا صبح المال كل ما يجري الرجال وراءه. بحيث يصح أن يعقد الزواج في هذه الأيام بين الرجل والمهر، وترسل المرأة مع "الجهاز" بدلا منه..."

ذلك كان بعض جوابها. ونحن نعتقد أن المهر سبب من الأسباب، ولكن ما الذي يحمل الشبان علي الجري وراءه يا تري؟ لنبحثن قليلا علنا نهتدي.

ضمنا مرة وبعض الأتراب مجلس، فعددنا فإذا نحن خمسة عشر شابا وكهلا، ليس بيننا متزوج. فقلنا لأدناهم إلينا: ألا ترغب في الزواج. قال: لا. قلنا: ولماذا؟ قال: هذا رفيقي ينبئك. فبرز إلينا الرفيق قائلا: دعونا من الزواج

فإننا هنا خمسة عشر رجلا لا نريده، والتفت إلى سائر الحضور وقال باسما: ألست بلسانكم متكلما، فأومأ بعضهم، وأجاب غيرهم بالتصديق علي ما قاله. إلا فتي في الربيع السادس بعد العشرين فإنه أجاب وقد صبغت حمرة الشباب محياه: اللهم أن حلفتني فلا. قال: إنك دون شك عاشق، والعاشق غر، ومع ذلك فإن كان لك في الزواج رأي حسن فأبده، علي أنني منذرك سلفا بعدم الانقياد لرأيك؛ لأن الزواج في هذه الأيام خراب للبيوت لا عامره.

ثم احتدم الجدال بين الحضور، ودارت المناقشة كأنها الحرب العوان ترغيبا في الزواج؛ لأنه سنة الله، والطبيعة. وحثا علي اجتنابه لأن امرأة اليوم غير امرأة الأمس. إلى أن مضي هزيع من الليل فمضى كل في سبيله ونح. إذا أمعنا النظر في هذا الأمر لا نجد أولئك الشبان مخطئين خطأ عظيما في قولهم أن الزواج في هذه الأيام خراب للبيوت. ولكنهم هم ونساؤهم السبب لو يعقلون. ولنأخذن لذلك مثلا: رجلا كان خادما في محل تجاري، وكان لأول عهده بالخدمة قليل الراتب كما هي العادة، ثم أخذ يتدرج في الزيادة حتى صار راتبه ٢٠ جنيها مصريا في الشهر، فمر بباله أن يتزوج، واختار له فتاة غير ذات ثروة، لكنه أبي وأبت حضرتها أن يمد رجليه علي قدر بساطة فأشتري له منزلا واسعا، وفرشه بالرياش الفاخر، والبسط الثمينة، منفقا في هذا السبيل كل ما كان قد وفره في شبابه. بل استدان فوقه ليكون الكناس خليقا بالغزال الوارد.

ولسنا نذكر للقراء كيف عاش الرجل بعد ذلك، ولكنهم يعلمون أن من يضع رجله في أول السلم لا بد من أن يصل إلى قمتها إذا كان صاعدا، وإلى أسفلها إذا كان نازلا...

ونحن إذا نظرنا إلى أكثر ذوي الدرجة الوسطى منا وجدناهم يجرون علي هذه الخطة، وإذا لقيناهم بعد مدة من زواجهم فلا نسمع منهم إلا "لعنة الله

علي الزواج". ولكن ما ذنب الزواج أيها الأخوان إذا كنا لا نعرف أن نتزوج، وإذا كان الواحد منا لا يرضى أن يعيش مع عرسه إلا كما يعيش صاحب الثروة العظيمة، والمال الذي لا تنفذ ذخيرته.

وأننا نذكر حديثا سمعناه من إحدى السيدات علي مسمع من حضرة زوجها إذا سألها سائل إذا كانت علي عزم الذهاب إلى مرقص كبير بعد في الثغر، فقالت: من أشهي ما لدي أن أشهد هذا المرقص، لكنني غير ذاهبة إليه. فقال السائل: ولم يا سيدتي؟ قالت: لأنني لم اصطنع لهذا المرقص ثوبا، ونظرت إلى زوجها باسمه، وأظنها كانت تبتسم عن هزء. فقال السائل الفضولي: ولكنني رأيتك في حلل من الحرير، وأثواب من الدمقس، قل اللواتي يلبسن مثلها في هذا المرقص. قالت نعم، لكنني إذا لبست ثوبا منها يعرف الناس أنني لبسته من قبل، وأنا أريد أن أكون من أحسن اللابسات في مثل هذه الحفلات إذا لم أكن أحسنهن.

فقال السائل: إذا سمحت لي السيدة أن أجاوب، فعلت وإلا صمت، وأخاف أن أسكت فتعد سيدتي سكوتي رضا. قالت سمحنا. فأجب قال: لتفرضن أن عدد السيدات في هذا المرقص ١٠٠ سيدة. قالت نعم، وماذا قال؟ فأنا أضمن لحضرة السيدة أن عشرا منهن فقط سيكن فوقها في الملبس، والحلي، و٣٠ مثلها علي السواء، و٦٠ دونها دون شك. فلماذا لا تقيس السيدة نفسها إلى تسعين سيدة؟ بل تقصر نظرها علي عشر فقط فتحرم نفسها لذة حضور هذه الحفلة في شدة شوقها إليها. فأجابت: كل هذا لا يهمنى، بل يهمني فقط أنني غير ذاهبة إلى المرقص... فتأمل.

وربما رأى بعضهم أننا قد خرجنا عن موضوع البحث في أسباب قعود البنات، وتقاعد الشبان. في حين أننا لم نخرج من هذه الدائرة، وإنما أوردنا

الحكايتين عن رجل متزوج، وامرأة ذات بعل؛ ليعلم القراء أن الاعزاب ينظرون إلى هذه العبر فيحزنون، ويحجمون.

والآن فإننا موردون للقراء بعض الحجج التي تحتج بها البنات، ويتذرع بها الشبان أولئك للقعود في البيوت، وهؤلاء للجلوس في القهاوي. فقد أخذنا مرة علي فتاة من الدرجة الوسطى رفضها الزواج بشاب مهذب حسن الأخلاق، فقالت: عجيب منكم أن تريدوا مني الرضا بهذا الفتى، وهو مستخدم ذو راتب شهري معين. وما أراه إذا تزوجت به إلا مطالبا أياي بأن اهتم له بغذائه، وارفا خرق ثوبه...

وسمعنا مرة أخري فتاة غيرها تقول: لا أريد فلانا علي ما أعلمه من تمام آدابه، وحسن سلوكه؛ لأن له في البيت أختين. فلم نملك أن قلنا لها: إذن فأنت تنصحين لكل فتاة أن ترفض الزواج بأخيك أنت وأختك معه. فصمتت.

وغير هاتين الفتاتين كثيرات يرفضن الزواج؛ لأن الذين يطلبونهن ليسوا من "الأغنياء العظام، ولا الأمراء الفخام". أما الشبان فلسنا نخشى أن نقول لهم الحقيقة وإن كانت جارحة، وكيف نخافهم وقد عرضنا بأنفسنا لسخط السيدات؟

الشبان عقبة كبري في هذا السبيل، فإننا نرى الشاب في هذه الأيام لا يريد أن يسمع للزواج ذكرا إلا إذا كانت الفتاة التي تعرض عليه بارعة الجمال، كثيرة المال، ذات علم واسع و... غير ذات أم.

ومما سمعناه يوما من أحد الشبان اعتذارا عن بقائه عزبا وهو قد جاوز سن الثلاثين: "أنني الآن أسافر في الدرجة الثانية، وأسافر إلى سوريا لقضاء الصيف، فإذا تزوجت لم يبق في وسعي أن أسافر إلا إلى أوروبا وفي الدرجة الأولى"

وقال صديق لنا كنا نحترمه كثيرا فسقط علي رأي المثل من عيننا: "لا أتزوج إلا بامرأة ذات ثروة عظيمة، فأجري المركبات، واسكن القصور" ولماذا؟. لأنه موظف الحكومة.

وقال ثالث– وهذه ثالثة الأثافي– وصاحبنا مستخدم عند أحد المحامين، ولا يتجاوز دخله خمسة عشر جنيها في الشهر: "بلى أريد أن أتزوج، لكنني انظر فلا أرى بين كل هؤلاء البنات من تليق بي" اللهم لطفك يا رحيم.

ولو شئنا أن نورد كل ما سمعناه من هذه الأقوال السخيفة لاضطررنا إلى وضع مؤلف خاص. وبالجملة فإن سبب الحالة التي نحن فيها نوه المعيشة التي صرنا إليها. بحيث لم يعد أحد يرضى بالمعيشة المتوسطة، بل يريد كل واحد منا أن يجاري من فوقه في البذخ، والإسراف. فالمهر وإن يكن علة كبرى في المسألة التي نحن بصددها إلا أنه ليس السبب الأصلي، وإنما الداء الحقيقي ما ذكرناه من نظرنا إلى من هو فوقنا دون الاكتراث لمن هو دوننا.

فليقم منا أناس ذو غيرة، وحمية، وحسن إرادة لإصلاح هذا الاعوجاج، ونحن الكفيلون لهم بأن أكثر الناس يتبعونهم في هذا السبيل الحميد؛ لأن السامة من حالنا قد بلغت حتى المسببين لها.

ولسنا نزعم أن نساءنا وفتياتنا كلهن علي هذه الصورة، فإن بيننا كل امرأة وفتاة تزري آدابها الغراء بعقود الجمان، بل بقلائد الحسان، ونحن قد عرفنا من نسائنا كل أم، ومن فتياتنا كل شقيقة تحمل خلالهما الحميدة، وصفاتهما الكريمة علي الترنم بقول الشاعر:

ولـو كـل النسـاء كمـن "رأينـا" لفضـلت النسـاء علـي الرجـال

فقد جمعت كثيرات من نسائنا إلى الأدب العربي أجمل الآداب الأوروبية،

مما أكسبهن إياه العلم، والتربية الصحيحة. ولكن سوء الحظ جعل هذا العدد الأقلية التي لا يرجع إليها في الحكم علي أمة، والكلام عن شعب؛ ولذلك ترى في كلامنا من التعميم ما لم نكن نحب أن نعمد إليه.

هذا فيما يختص بالزواج والتربية عند نصارى الشرق، أما المسلمون فحالهم غير حال هؤلاء؛ لأن المرأة عندهم غير متعلمة ولا متحررة؛ فلذلك تشعر هي من نفسها بأنها من جملة متاع البيت، فلا تعرف للزوجية شأنا، ولا للأمومة مقاما.

ولما كان الرجل يخطب امرأته، ويعقد له عليها وهو لا يعرف صورتها؛ لأنه ما رأى قط وجهها، ولا درى شيئا عن أخلاقها؛ إذ أنه لم يجالسها، ولم يحادثها، كانت العيشة الزوجية في غالب الأحيان غير هنية، ولا رضية. ونحن نترك الكلام هنا لأصحابه الجديرين به، ومنهم صاحب كتاب "تحرير المرأة"، فقد أجاد في هذا الصدد بقوله:

"بينا فيما سبق أن جميع المذاهب في اتفاق علي أن نظر المرأة المخطوبة مباح لخاطبها، وذكرنا حديثا عن النبي صلي الله عليه وسلم أمر به أحد الأنصار أن ينظر إلى خطيبته، وهو قوله: "انظر إليها، فإنه أحري أن يؤدم دم بينكما" فما بالنا أهملنا هذه النصيحة علي ما فيها من الفائدة، مع أننا نتمسك بغيرها مما يقل عنها في الأهمية؛ ذلك لأن الجاهل من عادته أن يميل إلى ما يضره، وينفر مما ينفعه.

كيف يمكن لرجل وامرأة سليمي العقل قبل أن يتعارفا أن يرتبطا بعقد يلزمهما أن يعيشا معا، وأن يختلطا كمال الاختلاط. أرى الواحد من عامة الناس لا يرضى أن يشتري خروفا، أو حثا قبل أن يراه، ويدقق النظر في أوصافه، ويكون في أمن من ظهور عيب فيه. وهذا الإنسان العاقل نفسه يقدم علي

الزواج بخفة، وطيش يحار أمامهما الفكر.

لعلك تقول أن المرأة ترى خطيبها من الشباك مرارا، وأن الرجل يعرف بواسطة أمه، أو أخته أوصاف خطيبته: مثل سواد شعرها، وبياض خدودها، وضيق فمها، واعتدال قوامها، ورزانة عقلها، وما أشبه ذلك. فيكون عنده علم بما هي عليه من جمال. وشمائل –نقول هذا قد يكون–. ولكن كل هذه الصفات متفرقة لا تفيد صورة ما، ولا يمكن أن ينبعث عنها ميل إلى طلبها لتكون عشيرة تطمئن لصحبتها النفوس، وتتعلق بها وبنسلها الآمال. وإنما الذي يهم الإنسان البصير هو أن يرى بنفسه خلقا حيا يفكر، ويتكلم، ويفعل. خلقا يجمع من الشمائل، والصفات ما يلائم ذوقه، ويتفق مع رغباته وعواطفه"

وقال في موضع آخر:

"قال الأعمش:" كل تزويج يقع علي غير نظر فأمره هم وغم"

ولما كان الزواج لا يراعى فيه اليوم هذا الشرط كانت الرابطة بين الزوجين واهية العقد، تنحل لأول عرض يطرأ عليها. وأغلب ما يكون من ذلك لا سبب له إلا رغبة منهما في الخروج من قيد لا يرى وجها للمحافظة عليه، والتنصل من أمر لا قيمة له في نفسه.

وكل ذي ذوق سليم يرى من الصواب أن يكون للمرأة في انتخاب زوجها ما للرجل في انتخاب زوجته، فإنه أمر يهمها أكثر مما يهم ذوي قرابتها. أما حرمانها من النظر في كل ما يختص بزواجها، وقصر الرأي في ذلك على أوليائها دون مشاركة منها لهم فهو بعيد عن الصواب.

قضت العادة عندنا أن يجتنب الحديث مع البنت فيما يتعلق بالرجل الذي خطبها، فلا يصلها خبر عن صفاته، وأخلاقه، ولا تسأل هل تحب الاقتران به.

ولا يبحث أحد عن ذوقها، ورغبتها، وميلها، وهي لا تجد من نفسها جرأة علي أن تبدي ما في ضميرها. ويري الناس أنه لا يليق بالمرأة أن يكون لها صوت في أهم الأشياء لديها، فيعطي القريب، أو البعيد رأيه في زواجها ما عداها، ويظنون أن هذا من تمام فضيلة الحياء وكمال الأدب. وهم مخطئون فيما يظنون.

وعدا ما يؤدي إليه الزواج دون تعارف سابق من عدم الألفة بين الزوجين، وهناء المعيشة البيتية. أنه يؤدي طبعا إلى أمرين آخرين، كلاهما هادم أركان العائلة، وكلاهما مقطع أوصال الرابطة البيتية، ونريد بهما تعدد الزوجات والطلاق.

أما تعدد الزوجات فلا مشاحة في أنه من أضر العادات وأشدها عملا في انحطاط الشرق. وقد أشرنا في فصل العائلة من هذا الكتاب إلى أضرار تفرق العواطف، وتوزع الشعائر والوجدانات في البيت الواحد، فلسنا نطيل الكلام في هذا الموضوع.

ولكننا نحمد الله علي تنبه أخواننا المسلين –ولاسيما الجيل الناشئ منهم– إلى خطارة هذه المسألة، فقد عمد كثيرون منهم إلى الاكتفاء بزوجة واحدة، والتصميم علي قضاء الحياة معها دون شريكة أخرى سواها.

ونحن نعرف كثيرين منهم قد جروا علي هذا المبدأ القويم سواء في مصر، أو سوريا. حتى أن في مدينة نابلس على مقربة من القدس الشريف عائلة هي أعظم عائلات تلك البلاد نسبا، وحسبا، وأكثرها عددا، وأجسمها ثروة، لا يتزوج أبناؤها إلا بامرأة واحدة، وهم لا يطلقون، ومع ذلك فإنهم من أشد المسلمين استمساكا بدينهم، ومن أبعد الناس تعصبا للإسلام.

أما الطلاق فيكفي في شجبه ما نقل عن لسان أئمة الدين الإسلامي من

الحديث القائل: أن الطلاق أبغض أنواع الحلال عند الله. فإذا كان الله تعالى يبغض الحلال إلى هذه الدرجة فما أجدر العقلاء والذين يلتمسون مرضاة الله أن يعدلوا عنه.

والطلاق فيما خلا ذلك ذو تأثير عظيم في النسل، وفي آداب الشعب وجامعته الوطنية، وأسباب تقدمه. وقد أثبت الإحصاءات الأخيرة التي جرت في القطر المصري أن كل أربع نساء يتزوجن يطلق ثلاث منهن وتبقى الرابعة فقط، ولا يخفي ما في ذلك من الضرر.

ونحن لا نتعمد الإطالة في الكلام عن هذين الموضوعين الخطيرين فقد، وفاهما غيرنا من كتاب الإسلام حقهما وهم أحق منا بالكلام عنهما.

علي أننا لا نملك أنفسنا عن تسديد سهام الملام إلى أولئك الذين يصبحون، ويمسون وهم يفكرون في وسيلة تمكنهم من الطلاق ليعيدوا أمر الزواج علي بدءه، ويجددوا للطرب آلات. وقد قال أحد كتاب المسلمين في هذا المعني قولا خليقا بأن يكتب بماء الذهب، وأن يكون عبرة لكل من يريد أن يعتبر. ونحن نجعله ختاما للكلام في هذا الموضوع، علي رجاء أن يفيد نشره وهو "أرذل الرجال سيرة، وأفسدهم أخلاقا، وأحطهم نفوسا هم الذين يتزوجون ليطلقوا، ويطلقون ليزوجوا" والسلام

الغنى الحقيقي:

يبلغ دخل زيد الاسكندري في الشهر ٥٠ جنيها، ولكنه ينفق ٥٥ جنيها.

ويبلغ دخل عمرو الاسكندري أيضا ١٠ جنيهات في الشهر، لكنه ينفق منها ٨ جنيهات فقط. فأي الاثنين الغني وأيهما الفقير؟

إننا إذا نظرنا إلى الأمر نظرا مجردا عن كل اعتبار وقياس توهمنا أن من كان

دخله الشهري يبلغ ٥٠٠٠ قرش صاغا لهو الغني بإزاء الذي لا يتجاوز دخله الألف قرش.

لكننا إذا أمعنا النظر، وبحثنا في عواقب الأمر ونتائجه، حكمنا دون تردد أن الغني منهما ليس أكثرهما إيرادا، بل هو ذاك الذي يصل إلى آخر الشهر وقد زاد دخله علي نفقته ولو زيادة قليلة.

والذي نراه –ويسومنا أن نراه– أننا نحن بني الشرق لا نحسب في هذه الأيام لهذه المسألة الخطيرة حسابا، بل يقوم المستخدم منا وراتبه مقرر معلوم فيبدأ بالإنفاق منذ غرة الشهر دون حساب ولا تقدير. فلا يبلغ منصف الشهر إلا وقد فرغ جيبه من كل أصفر وأبيض، فيضطر إلى الاقتراض علي راتبه، وممن يقترض المستخدم، وبأي ربا...

ولو شئنا أن نطيل الكلام في هذا الموضوع لما وقفنا عند ذكر المستخدمين والعمال، فإننا نرى أبناء الأسرة الغنية يبدءون منذ غد وفاة الأب الذي جمع لهم المال بكد يده، وعرق جبينه بالتبذير والإسراف، فلا تمضي عليهم بضعة أعوام إلا وقد أصبحوا أفقر من الفقير الذي يمد يده للسؤال. لأن السائل أغنى من الذي كان غنيا فذهب ماله في سبل البذخ العتاق، ويتوسد الأسرة الناعمة، ويلبس ما هو أنعم من الحرير مخافة أن يدمي لمس الحرير بناته لأفقر من كل فقير، وأشقي من كل شقي متى رأى نفسه في غير المنزلة التي كان فيها، وهو لا يقوى علي العمل الذي يقوم به أبناء الدرجة الوسطى، أو الطبقة العاملة.

فرحمة بأنفسنا يا بني الشرق، ومن الحكمة أن ننظر إلى الغربي في معيشته وحسن تدبيره. فإننا نري العامل الفقير مثل الغني الثري، لا يمضي عليه النهار حتى يكون قد استودع صندوقه ولو درهما من دخل يومه، يدخره لساعة الحاجة، أو يوفره لابنه من بعده.

وقد قال المثل العامي: "علي قدر بساطك مد رجليك". وفي هذا القول عبرة لذوي الألباب، فإن الرجل منا إذا مد رجليه إلى أطول من بساطة وقعت علي الأرض، وهكذا زيد الاسكندري إذا كان دخله في الشهر ٥٠ جنيها، ونفقته ٥٥ جنيها، فأنه فقير لا محالة. بخلاف عمرو الاسكندري الذي ينفق ٨ جنيهات من دخل عشرة في الشهر، فهو الغني الذي يجب أن نتشبه به، ونجري علي خطته.